

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحشر

سورة الحشر مدنية، ويقال لها: سورة بني النضير.
والسورة تبين طرفاً من: غدر اليهود، ونكثهم العهود، ووجوب اليقظة لهم، والحدز منهم، وكيفية التعامل معهم.
وهي تبدأ بقوله تعالى:

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١)

بداية: تؤكد عزة الله وحكمته، وأن كل ما في الكون يسبح بحمده سبحانه.
وهي في الوقت ذاته: تشير إلى عظمة الله من خلال أفعاله مع الكافرين، والمنافقين، والمؤمنين، كما توضحه الآيات التالية، حيث إنه سبحانه:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَارِعَتْهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يٰأُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (٢)

نعم، ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ وهم يهود بنو النضير، الذين كانوا يقيمون بالمدينة، وهُمَا بقتل رسول الله ﷺ، فطردهم منها، وأجلاهم عنها، وذلك ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ أي: لبداية الطرد لهم، والحشر والتجميع في مكان واحد.

حيث: أجلاهم النبي ﷺ من المدينة إلى خيبر.
ثم: أجلاهم عمر رضي الله عنه من خيبر إلى الشام.
ثم: هم يتجمعون الآن من بلاد العالم في فلسطين.
﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿أَنْ يَخْرُجُوا﴾ من المدينة؛ لشدة قوتهم، وكثرة
عددهم، ومنعة حصونهم، ﴿و﴾ قد ﴿ظَنُّوا﴾ هم أيضا ﴿أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ
حُصُونُهُمْ﴾ من أن يخرجهم منها أحد، أو يهزمهم فيها أحد، ﴿فَالْتَهُمُ اللَّهُ﴾ وهزمهم
﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ ولم يخطر ببالهم، وذلك: حين حاصرهم النبي ﷺ بعد
غدرهم به، وجهاز نفسه لحربهم ﴿وَقَذَفَ﴾ الله ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ واستسلموا،
ووافق النبي عليه الصلاة والسلام على خروجهم من المدينة بما يستطيعون حملة معهم،
فصاروا ﴿يُخْرِئُونَ يَوْمَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ حتى لا يستفيد منها المسلمون بعد رحيلهم،
وكذلك ﴿أَيْدِي﴾ أي: قوة ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ التي كانت السبب في خوفهم منهم، والدافع
لهم إلى هذا التخريب الذي فعلوه، وهكذا انهزم اليهود، وانتصر المسلمون،
﴿فَاعْتَبِرُوا﴾ بذلك ﴿يَتَأُولَى الْأَبْصَرِ﴾ فلا تخافوهم، ولا تأمنوهم، ولا تعاهدوهم،
ولا توالوهم بحال من الأحوال.

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُهمُ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ
النَّارِ ﴿٢﴾﴾

أي: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ هذه المرة ﴿لَعَذَّبُهمُ فِي الدُّنْيَا﴾
بالقتل والأسر، ﴿وَهُمْ﴾ في أي من الحالتين ﴿فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾
يعني ﴿ذَلِكَ﴾ الذي نزل بهم وحدث لهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ حاربوا
الله ورسوله، وغدروا، ونقضوا العهد، وهموا بقتل رسول الله ﷺ، ﴿وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ﴾
ويحارب دينه، أو أوليائه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ له ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

هذه هي غزوة بني النضير اليهود، وأسبابها.

وللسورة دروس تربوية نعقب عليها:

الدرس الأول: لما حاصر المسلمون حصونهم أمر النبي ﷺ بقطع نخيلهم، إهانة لهم، وإرعاباً لقلوبهم، وضغطاً اقتصادياً حريئاً عليهم.

فقالوا: لقد كنت تنهى عن الإفساد في الأرض، وهذا إفساد، وداخل بعض المسلمين من ذلك شيء!! فأنزل الله تعالى قوله الكريم:

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٥)

أي: ﴿مَا قَطَعْتُمْ﴾ خلال حربكم معهم، وحصاركم لهم ﴿مِّن لِّينَةٍ﴾ نخلة، ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا﴾ دون قطع، ذلك ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لكم، تدميراً لاقتصاد أعدائكم، وأيضاً ﴿وَلِيُخْرِىَ﴾ ويغيظ هذا الفعل ﴿الْفَاسِقِينَ﴾.

الدرس الثاني: حول غنائم الحرب، يقول الله تعالى:

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِن خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦)

أي: ﴿وَمَا أَفَاءَ﴾ وما ردَّ ﴿اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ أموالاً وغنائم ﴿ف﴾ اعلّموا أنكم ﴿مَا أَوْجَفْتُمْ﴾ ما أجهدتم في الحصول ﴿عَلَيْهِ مِن خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ منكم، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾...!! وقد فعل سبحانه وتعالى، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لذلك: فهي للنبي ﷺ يتصرف فيها كيف يشاء، وقد فعل ﷺ وجعلها في وجوه البرِّ والمصالح التي ذكر الله عز وجل في الآية التالية، يقول الحق سبحانه:

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَانَكُمُ الرَّسُولُ فَحُذُّوه وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنتهُوا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٧)

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ﴾ أي: جعل ورد ﴿عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ التي يفتحها بالحرب، والتي تفتح بعده هكذا، فحكمها حكم أموال بني النضير، يعني ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ ويلاحظ: أن اسم الله للتبرك، وسهما النبي ﷺ وقرابته كانا له في حياته ﷺ.

إذن: الفيء لليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

وذلك: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ دائراً ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ خاصة، ولا يصل إلى الفقراء منه شيء.

الدرس الثالث: هذه أحكام الله يجب العمل بها، إذ يقول ربنا ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ﴾ وأمركم به ﴿فَخُذُوهُ﴾ دون تهاون، فهو خير لكم ﴿وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنْهَوْهُ﴾ ولا تقربوه، فهو خير لكم، ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ﴾ في السر والعلن ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالف ورفض، أو عصاه.

وبعد أن بين الله عز وجل مصارف الفيء إجمالاً، أخذ في تفصيل بيان ذلك في الآيات التالية، حيث يقول المولى عز وجل:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

يعني: يُعطى من الفيء الذي أفاء الله على رسوله وحكام المسلمين من بعده من الفتوحات الإسلامية ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ وهؤلاء: وصفهم الله عز وجل بعدة صفات، هي غاية في مدحهم وإعلاء شأنهم:

الأول: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ﴾ بسبب إسلامهم.

الثاني: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ بحبهم لله وللرسول.

الثالث: ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ﴾ أي دين الله، ويعاونون ﴿رَسُولَهُ﴾.

الرابع: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في عقيدتهم وسلوكهم.

أَيْضًا: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجَبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

يعني: يُعطى من الفياء أَيْضًا ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا﴾ سكنوا ﴿الدَّارَ﴾ دار الهجرة ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا﴾ أي: اعتنقوا الإسلام من قبل كثير من المهاجرين، وهم فقراء الأنصار.

وهؤلاء: وصفهم الله عز وجل بعدة صفات هي غاية في مدحهم كذلك، وإعلاء شأنهم:

الأولى: ﴿يُحْجَبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ بإسلامه، وأقام معهم.

الثانية: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ أي تأثر ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ أي: مما أوتي وأخذ هؤلاء المهاجرون من الأموال والعطايا دونهم.

الثالثة: ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾ يفضلون غيرهم ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ عند عوزهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي: شدة احتياج.

الرابعة: ﴿وَمَنْ يُوقِ﴾ أي: يَسْلَم من شَحْنٍ ﴿نَفْسِهِ﴾ وبخلها ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وهؤلاء الأنصار قد سَلِمُوا من شَحْنٍ أَنْفُسِهِمْ.

أَيْضًا: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

يعني: يُعطى من ذلك الفياء ﴿الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد المهاجرين والأنصار، وهم: التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وهؤلاء: وصفهم الله عز وجل بعدة صفات هي غاية في مدحهم، وإعلاء شأنهم:

الأولى: أنهم يعترفون بالتقصير في حق المولى، ويطلبون المغفرة قائلين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾.

الثانية: أنهم يدعون بالمغفرة لجميع من سبقهم من المؤمنين ﴿وَاغْفِرْ لِحَوْنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾.

الثالثة: أنهم يطلبون صفاء الصدور وسلامة القلوب من أمراضها في حق المؤمنين ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَارَبَّنَا فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ ﴿حَقْدًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾.

الرابعة: أنهم يثقون في رافة الله ورحمته بعبادة، ويرجونها لأنفسهم وللمؤمنين ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فارأف بنا وارحمنا.

بعد أن بين الله تبارك وتعالى أنواع المؤمنين، وحكى لنا بعض أقوالهم الطيبة، لنعرفهم، ونحبهم، ونقتفي آثارهم إلى يوم القيامة، يبدأ في بيان بعض أنواع الكافرين، ويحكي لنا طرفاً من أقوالهم الفاسدة الكاذبة، لنعرفهم ونحذرهم إلى يوم القيامة!! فيقول المولى سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

تحكي هذه الآيات ما دار بين المنافقين في المدينة - وعلى رأسهم عبد الله بن أبي - وبين يهود بني النضير، الذين أرادوا قتل رسول الله ﷺ، حيث قال المنافقون لإخوانهم في الكفر: لا تليقوا لمحمد، ولا تخافوا منه، فنحن معكم عليه، و ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من دياركم وطردتم منها ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾، ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ بشيء نفعه فيكم فلن نفعله، ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ بشيء يضركم، ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ﴾ لنكونن معكم، و ﴿لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في كل ما قالوه، إما لعجزهم عن تنفيذ ما يقولون، أو لتبستهم النية بغير ما يقولون!!

لذلك: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلِكَنَّ أَلَدَبَرٌ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾

أي: اليهود لا ينصرون أبداً، حيث يقاتلهم مؤمنون.

أيها المؤمنون..

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٣)
 ﴿لَأَنْتُمْ﴾ يا مؤمنون ﴿أَشَدُّ رَهَبَةً﴾ وإرعاباً ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ أي: هؤلاء
 المنافقين، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ لتأخر عذابه عنهم، ﴿ذَلِكَ﴾ الخوف والرعب منكم
 ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ولا يعرفون عظمة الله، ولا يخشونه حق الخشية .

لذلك فإنهم:

﴿لَا يُقِلُّونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٤)
 نعم، ﴿لَا يُقِلُّونَكُمْ﴾ في أية معركة ﴿جَمِيعًا﴾ اليهود والمنافقين ﴿إِلَّا﴾ وهم
 ﴿فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ﴾ أي: في قلاع وحصون، ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ جمع جدار، أي:
 متاريس يتحصنون بها، ويحاربون من خلفها، كالدبابات والمدركات والمصفحات، وغير
 ذلك، ويا أيها المؤمن إنك ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: متحدون، ومتآلفون، ومتحابون،
 مع بعضهم البعض، ﴿وَالْحَقِيقَةُ﴾ ﴿قُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أي: متفرقة، فهم في عدااء، ولا
 يجتمعون إلا عليكم، ﴿ذَلِكَ﴾ الوضع الذي هم فيه ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ .

وهؤلاء: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٥)

مثلهم أي: اليهود والمنافقين في عدائهم للمسلمين ﴿كَمَثَلِ﴾ الكفار ﴿الَّذِينَ﴾
 عادوا المسلمين، وحاربوهم ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ في يوم بدر، وقد هزموا، و ﴿ذَاقُوا
 وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾ في الدنيا ﴿وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يوم القيامة.

هؤلاء: سيهزمون ويذوقون وبال أمرهم في الدنيا، ولهم كذلك العذاب الأليم يوم
 القيامة.

ومثل المنافقين في إغراء اليهود على حرب المسلمين:

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

حيث أغوى الإنسان وتبرأ منه، وهؤلاء: أغووهم، ووعدوهم بالنصرة، ثم تركوهم. لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

وهو كذلك جزاء كل ظالم .

وبعد بيان بعض أوصاف الكافرين من اليهود والمنافقين، وعرض صور من أحوالهم: تكون الموعظة والنصيحة الإلهية للمؤمنين، حيث يقول الله تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نعظكم وننصحكم:

أولاً: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أوامره فلا تخالفوها، وفي شريعته فلا تتركوها.

ثانياً: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ وهو يوم القيامة من عمل فتزید عليه إن كان صالحاً، وتكف عنه، وتتوب منه إن كان سيئاً.

ثالثاً: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تأكيد على تقوى الله لأهميتها القصوى؛ حيث ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

ثم نهاهم عن الغفلة قائلاً: ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ في ترككم ذكر الله، وما أمركم به ﴿كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ فلم يذكروه، وتركوا شرع الله، فلم يطبقوه ﴿فَأَنْسَاهُمْ﴾ بسبب ذلك ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ من العمل الصالح لها، ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين نسوا الله ﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فلا تكونوا مثلهم. حيث:

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

نعم، ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ﴾ الذين نسوا الله، فلم يتقوه ﴿وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ الذين خافوه، فلم يعصوه، حقًا ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بنعيم الله، الناجون من عذابه يوم القيامة، اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين، آمين اللهم آمين.

ولمَّا أمر ربنا بالتقوى بَيَّنَّ ما يُرشد إليها، ويُعين عليها، وهو القرآن الكريم الذي عظمه المولى عز وجل قائلًا:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

أي: اخشعوا واخضعوا وتأثروا واعملوا بكتاب الله، حيث إنا ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ !! ﴿و﴾ على كل: ﴿تِلْكَ الْأَمْثَلُ﴾ والمواعظ ﴿نَضْرِبُهَا﴾ نذكرها ونوضحها ﴿لِلنَّاسِ﴾ جميعًا ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها، فيزداد المؤمن بها إيمانًا، ويقلع الكافر بها عن كفره، ويكف الظالم بها عن ظلمه.

ولمَّا وصف ربنا القرآن بهذا الوصف العظيم، أتبع ذلك بذكر وصف عظمة مَن أنزله، وهو الله تعالى، فقال عز وجل عن نفسه:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾

أيضًا: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾

أَيْضًا: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾

نعم، ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ الذي أعطى كل شيء خلقه وصورته ثم هدى، حقًا له الأسماء التسعة والتسعون، الواردة في الحديث الشريف، وهي الأسماء الحسنی الدالة على صفاته العلى سبحانه.

ثم تختتم السورة بما بدأت به، حيث يقول ربنا جل وعلا: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ صدق الله العظيم، وبهذا انتهت سورة الحشر، أو سورة بني النضير، والله الحمد والمنة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الممتحنة

سورة الممتحنة: مدنية، وهي تبدأ بقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُشِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾

يعني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله تعالى رباً وبمحمد ﷺ نبياً ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ في الدين ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ وأصدقاء ومستشارين، ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ والمحبة، وتشقون فيهم، وتفضون إليهم بأسراركم!! ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ وهو دين الإسلام، هؤلاء وآباؤهم كانوا ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: يخرجون محمداً وأصحابه من مكة ظلماً وعدواناً؛ لما هم عليه من التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، ولهذا قال: ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ أي: لإيمانكم أو كراهه إيمانكم بالله عز وجل. نعم لا تتخذوهم أولياء ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا﴾ مجاهدين ﴿فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾، يا أيها الذين آمنوا أنتم ﴿تُشِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ أي بعضكم يتودد إليهم في الخفاء ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ فأحاسبكم عليه، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ﴾ أي يتخذهم أولياء، ويتودد إليهم، ولو سراً ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ وأهلك نفسه في الدنيا، واستحق العذاب في الآخرة.

وصدق الله، فإننا نشاهد هذا الضلال عن سواء السبيل الذي تضع بسببه الأوطان، ويهلك بسببه العباد في أيامنا هذه التي نحياها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم بيّن الله عداوة الكفار للمؤمنين، فيقول جل وعلا:

﴿إِنْ يَتَفَقَّهْتُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (٢)

نعم، إنهم ﴿يَتَفَقَّهْتُمْ﴾ يتمكنوا منكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ﴾ خالصي العداوة، ولا يوالونكم كما توالونهم ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ﴾ أي: لآذوكم بكل وسيلة ممكنة بالقول أو بالفعل، ﴿وَوَدُّوا﴾ مع ذلك ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ كما كفروا هم، فتكونون سواء، ولذلك: مودة أمثالهم، وموالاتهم أمر خطير، وضرر كبير.

يا أيها الذين آمنوا استجبوا، ولا تتخذوا الكفار أولياء، ولو من أجل أقاربكم وأولادكم، ومراعاة مصالحهم، حيث إنه:

﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٣)

﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ يعني لن ينفعكم هؤلاء يوم القيامة إن اتخذتم الكفار في الدنيا أولياء من أجلهم.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ وبين هؤلاء الأقارب الذين تتخذون الكفار أولياء بسببهم، فلا تتخذوا الكفار أولياء إذا بأي حال من الأحوال، ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم على أعمالكم.

يا أيها الذين آمنوا اقتدوا بالصالحين في عدم موالاة الأعداء، إذ يقول الحق سبحانه.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُشْفِقَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٤)

﴿كَفَرُوا وَآغَفِرَ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ﴾ (٥)

يعني: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المؤمنين، وذلك حينما ﴿قَالُوا لِقَوْمِهِمُ﴾ الكافرين: ﴿إِنَّا بَرَاءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ إنا بريؤون من كفركم، ومن عبادتكم للأصنام، ﴿وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا﴾ وبيننا وبينكم عداوة وبغضاء لا تنتهي ﴿حَتَّى تَوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ وتتركوا ما أنتم عليه من كفر وطغيان، ولكن ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فلا تتأسوا به فيه؛ حيث كان هذا الاستغفار عن وعد وعده لأبيه سابقًا بقوله:

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيَّا﴾ [مريم: ٤٧]، حيث ظن إسلامه، ولكن تبين خلافه، ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

ثم قولوا مع إبراهيم وقومه، حين فارقوا قومهم، وتبرءوا منهم، وتضرعوا إلي بقولهم: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ أي: عليك اعتمادنا في جميع أمورنا، وإليك رجعنا وتبنا، وإليك المرجع والمعاد في الدار الآخرة، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إذا انتصروا علينا، فيظنوا أنهم على الحق ونحن على الباطل؛ فيفتنوا بذلك ﴿وَأَعْفِرْ لَنَا﴾ أي: اغفر لنا ما فرط من الذنوب. ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: أنت يا الله الغالب الذي لا يذل من التجأ إليه، الحكيم الذي لا يفعل إلا ما فيه الخير والمصلحة.

يا أيها الذين آمنوا:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

نعم، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ أي: إبراهيم والذين معه ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ في التبري من الكفار، وعدم اتخاذهم أولياء، وذلك أي: هذا الاقتداء والتأسي بهم ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ هو الواجب اتباعه؛ إذ فيه خير كثير ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ ويتعد عن هذا الاقتداء، ويوالي أعداء الله أعداء المسلمين ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأهل طاعته.

ولمَّا أمر الله تعالى بعداوة الكفار في صدر الإسلام: شددوا في عداوة آبائهم وأولادهم وجميع أقاربهم، والبراءة منهم، فأنزل الله عز وجل:

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧)

أي: لا تشددوا وتسرفوا في عداوتكم لهم ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ﴾ في الدين ﴿مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ محبة بعد عداوة، وإلف بعد فرقة، بأن يوفقهم الله للإيمان؛ فيصيروا لكم أولياء، وسبحان الله!!

لقد حدث ذلك حيث أسلم أقارب كثير من المهاجرين بعد فتح مكة.

﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على تبديل الأحوال، وتقليب القلوب، وهدايتهم للإيمان، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن أسلم من المشركين.

بعد أن أمرنا الله عز وجل بعدم الولاء مع الكافرين: بين حدود التعامل معهم.. بقوله سبحانه:

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٩)

يعني: يا أيها الذين آمنوا ﴿لَا يَنْهَكُمُ﴾ ويمنعكم ﴿اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أي بسبب الإسلام ﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ لإيمانكم ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ أي: تكرمهم، وتحسنوا إليهم قولاً وفعلًا ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي: ولا تظلموهم، حيث ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين.

وإذا كان هذا مع المخالفين في الدين، فما بالنا بأهمية العدل، وعدم الظلم بين المسلمين!!

﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ مَوَالِيهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾

وَأَخْرَجُكُمْ ﴿١٠﴾ بَأَنفُسِهِمْ ﴿١١﴾ مِّن دِينِكُمْ ﴿١٢﴾ أَوْ أَخْرَجَكُمْ غَيْرَهُمْ ﴿١٣﴾ وَظَاهَرُوا ﴿١٤﴾ وَسَاعَدُوهُمْ ﴿١٥﴾ عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ ﴿١٦﴾، وَيَمْنَعُكُمْ سَبْحَانَهُ ﴿١٧﴾ أَن تَوَلَّوْهُمْ ﴿١٨﴾ بِأَي لُّونٍ مِّنَ الْوَانَ الْمَوَالَاةِ وَالْمُودَةِ، ﴿١٩﴾ وَاعْلَمُوا أَن ﴿٢٠﴾ مَّن يَتَوَلَّوْهُمْ ﴿٢١﴾ وَتَتَوَدَّدُ إِلَيْهِمْ وَيَصَادِقُهُمْ مِنْكُمْ ﴿٢٢﴾ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ لَأَنفُسَهُمْ بِتَعْرِيزِهَا لِلْعَذَابِ.

وأيضاً لما أمر الله المسلمين بعبادة الكفار، وعدم موالاتهم، وكان الزواج من أقوى أسباب الموالاتة، فأسلمت بعض النسوة، وهاجرن من مكة تاركات أزواجهن، شرع الله امتحان هؤلاء النسوة لمعرفة صدق إيمانهن، فقال جل شأنه:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ ذِكْرُكُمْ ۚ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

والمعنى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ من مكة ﴿مُهَاجِرَاتٍ﴾ فازات بدينهن ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ لتعرفوا مدى الصدق في إيمانهن، وذلك بأن يحلفن أنهن ما هاجرن إلا رغبة في الإسلام، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ أي: الله اعلم بصدقهن في دعوى الإيمان، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ وغلب على ظنكم أنهن ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ صادقات ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ مرة ثانية، حيث إنه ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ وقد انقطعت بالإيمان والهجرة العلاقة بينهم وبين هؤلاء الكفار ﴿و﴾ على ذلك ﴿ءَاتُوهُم﴾ أي: اعطوا الكفار الذين كانوا أزواجهم ﴿مَا أَنفَقُوا﴾ عليهن من المهور ﴿و﴾ أيضاً ﴿لَا جُنَاحَ﴾ لا إثم ولا حرج ﴿عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ في هذه الحالة، وذلك ﴿إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾ أي: مهورهن.

وهذا في الزوجات اللاتي أسلمن وتركن أزواجهن، أما إذا أسلم الزوج وهاجر، وبقيت زوجته على الكفر، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ﴾ زوجاتكم ﴿الْكُوفِرِ﴾ لقطع هذه العلاقة بسبب إسلامكم، ﴿و﴾ في هذه الحالة ﴿اسْأَلُوا﴾

أي: اطلبوا ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ من مهور عليهن ﴿وَلَيْسَتُلُوا﴾ هم بدورهم أي الرجال الكفار ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ على زوجاتهن اللاتي أسلمن، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر هو ﴿حُكْمُ اللَّهِ﴾ وشرعه ﴿يَحْكُمُ﴾ به ﴿بَيْنَكُمْ﴾ فاتبعوه، واعملوا به، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يصلح عباده ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يشرعه لهم.

هذا: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتَّوُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١﴾

يعني ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ﴾ وضاع عليكم ﴿شَيْءٌ مِّنْ﴾ مهور ﴿أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ اللاتي رجعن عن الإسلام، وعَدْنَ إلى الكفار ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾ أي: وقعت بينكم وبين الكفار معركة، فانتصرتن وغنمتن أموالهم ﴿فَاتَّوُوا﴾ من هذه الغنائم ﴿الَّذِينَ ذَهَبَتْ﴾ هربت ﴿أَزْوَاجُهُمْ﴾ إلى الكفار ﴿مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ من مهورهن؛ تعويضاً لهم، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ أي: راقبوا الله الذي آمنتم وصدقتم بوجوده، راقبوه في أقوالكم وأفعالكم.

كانت هذه الأحكام التي ذكرت قبل فتح مكة شرفها الله.

وعندما أتم الله النعمة على المسلمين، وأعز الله الإسلام بفتح مكة، وأسلم أهلها بايعهم رسول الله ﷺ يومئذ على الجهاد والإسلام، وهنا جاءت النساء اللاتي أسلمن، وطلبن من النبي ﷺ أن يبايعهن، فنزل قوله تعالى:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾

والمعنى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ﴾ النساء ﴿الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي: الإسلام، وهذه

الأشياء الستة المذكورة، ﴿فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ﴾ عما سلف منهن، وما يكون مستقبلاً ويتبين عنه، حيث ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لهن ﴿رَحِيمٌ﴾ بهن.

وهذه الأشياء الستة، التي بايع النبي ﷺ النساء عليها هي:

أولاً: ﴿أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ لأن الشرك ظلم عظيم.

ثانياً: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ أي: لا يرتكبن جريمة السرقة.

ثالثاً: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ أي: لا يرتكبن جريمة الزنى، وهي من أفحش الفواحش.

رابعاً: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ كما كان يفعل في الجاهلية من وأد البنات.

خامساً: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بَهْتَنٍ﴾ أي: كذب ﴿يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ فتلحق الولد بغير أبيه.

سادساً: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ وهو كل ما أمر به الشرع وحسنه، أو نهى عنه وقبحه.

وقد بايعهن ﷺ، دون مصافحة، بل بالقول فقط.

وفي نهاية السورة: يؤكد ربنا على ما بدأت به ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا﴾ [الممتحنة: ١] وذلك: من النهي عن موالاة الكافرين، حيث يقول الحق سبحانه:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَیْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَیْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (١٣)

يعني: يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا ولا تتوددوا، ولا تصادقوا ﴿قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ من اليهود، أو النصارى، أو سائر الكفار من أصحاب التحل الفاسدة، والممل الباطلة، فإن هؤلاء لا أمان لهم، ولا تودد معهم، ولا موالاة بينكم وبينهم؛ حيث ﴿قَدْ﴾ كفروا بالله، وكذبوا رسوله، وأنكروا البعث، و ﴿يَیْسُوا مِنْ﴾ ثواب ﴿الْآخِرَةِ﴾ تماماً ﴿كَمَا يَیْسُ الْكُفَّارُ﴾ جميعاً ﴿مِنْ﴾ بعث ﴿أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ وحسابهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الصف

سورة الصف، وهي سورة مدنية، تبدأ بقوله سبحانه وتعالى:

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١)

بدؤُ يُشعر: بعزة الله، وعظمته، وحكمته.

ثم تحمل السورة في مطلعها بالإنكار على مَنْ يعد وعداً، أو يقول قولاً، ثم لا يفي به فقال الحق جل جلاله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) **كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** (٣)

يعني: لا بد أن يتطابق القول - عند المؤمن - مع العمل، كما لا بد أن يكون العمل وفق ما يُرضي الله ورسوله.

ثم تحثُ السورة في مطلعها كذلك المسلمين على: وحدة الصف، واجتماع الشمل، والترابط بينهم، حيث يقول المولى تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَرْصُوصٌ﴾ (٤)

والمراد: التماسك، والتعاون فيما بينهم، وتكامل المواقف، وعدم التخاذل، وعدم وجود الثغرات في الصف الإسلامي، حال القتال وغيره، وذلك شيء يحبه الله عز وجل من المسلمين.

وبعد أن بيّن الله حبه للقتال المُنظَّم في سبيله ضد أعداء الدعوة: أخذ في بيان مبررات هذا القتال، إذ يقول الحق سبحانه:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

أي: واذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى ﷺ﴾ ﴿لِقَوْمِهِ﴾ ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿يَنْقُورِ لِمَ تُوذُونَنِي﴾ بالتكذيب، والعناد، وغيره ﴿وَقَدْ﴾ وأنتم ﴿تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾ حقًا ﴿إِنَّكُمْ﴾ بالهداية والنور؟ وبهذا العناد والتكذيب، فقد زاغوا وبعثوا عن الحق، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ عن الحق باختيارهم ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الهداية، وخرجوا عن الطاعة، وصاروا فاسقين ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ وبهذا: الإيذاء لنبيهم، والزيف عن الهداية، والفسق: صاروا حربًا على الإسلام وأهله.

وهذا من مبررات قتالهم، الذي حثَّ عليه الإسلام، ونُظِمَ له الصف الإسلامي.

أيضًا: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾﴾

أي: واذكروا ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ حيث بعث فيهم ولهم ﴿إِنِّي﴾ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خاصة ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ أي: قبلي ﴿مِنَ التَّوْرَةِ﴾ التي نزلت على موسى ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ يأتي للناس كلهم، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الدالة على صدقه في هذه الأشياء الثلاثة، التي ذكرها لهم ﴿قَالُوا﴾ منكرين، ومعاندين ﴿هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ واضح.

وهم بهذا التكذيب لنبيهم والتحريف لما جاء به: صاروا حربًا على الإسلام وأهله.

هكذا: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾

أي: أنه لا أحد أشد ظلمًا من الذي يفتري على الله الكذب، كأن يقول على القرآن إنه سحر، أو أن الله ليس بواحد، أو أن محمدًا ليس برسول، وذلك: في الوقت الذي يدعوه ربه فيه إلى الإسلام، الذي فيه سعادة الدارين.

أليس هذا بظالم؟ بلى إنه بهذا الفعل أظلم الظالمين، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يظلمون الناس، وييغون في الأرض بغير الحق. ودفع هذا الظلم: من أقوى مبررات الجهاد الذي حثَّ عليه الإسلام. وكل هؤلاء، وغيرهم:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨)

نعم إنهم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ الإسلام ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بأقوالهم الباطلة، وشبهاتهم الفاسدة، لكن هذا مستحيل، حيث إن الله عز وجل ﴿مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ كلهم مجتمعين ومنفردين.

على كل حال فالمستقبل للإسلام، حيث إن الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٩)

نعم: ﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ﴾ أي: بعث محمداً ﷺ بالهدى وهو القرآن ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ الذي هو الإسلام، وذلك ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ ويعليه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ من جميع الأديان المخالفة له، وسوف يتم ذلك بإذن الله ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أي: ولو كره أعداء الله، المشركون بالله غيره.

وإذا كان في هذه الآية: بشارة بنصر الإسلام، وإعزاز أهله، فإن ذلك الهدف من أقوى مبررات الجهاد..

وإذا كان تعالى قد أشار إلى بعض مبررات الجهاد: فإنه عز وجل يبين أنه أحب الأعمال إلى الله، فيقول جل في علاه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَىٰ تَحَرُّفٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (١٠)

من منا لا يحب أن يعرف هذه التجارة، التي تنجيه من عذاب أليم؟

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

هذه التجارة التي لا تبور، والتي تنجي من عذاب أليم هي: الإيمان الحق بالله ورسوله، ثم الجهاد الصادق في سبيل الله بالمال والنفس، حيث يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الإيمان، والجهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من تجارة الدنيا، والكد لها. وذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ النافع المفيد من الكد الذي قد يضيع.

ثم يبين ربنا لِمَ كان الإيمان بالله والرسول والجهاد في سبيل الله خيراً لهم بقوله:

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

هذه الأشياء: هي من ثواب الله على الإيمان به وبرسوله والجهاد في سبيله.

وهي: غفران الذنوب، ودخول الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، والتي فيها المساكن الطيبة، للإقامة الدائمة، حقاً ﴿ذَلِكَ﴾ الجزء هو ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ للمؤمنين المجاهدين، بالإضافة إلى نعمة أخرى ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾ وهي: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ لكم في معارككم مع أعدائكم، وكذلك ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ لهم في البلاد، وفي مجالات نشر دين الله، ﴿و﴾ بذلك ﴿بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يا رسول الله.

وفي نهاية السورة: يخاطب ربنا عز وجل المؤمنين، أمراً لهم أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم، وأن يستجيبوا لله وللرسول، كما استجاب الحواريون لعيسى ابن مريم عليه السلام، وذلك في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَّا طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَت طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ ﴿١٤﴾

يعني ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ﴾ دين ﴿اللَّهِ﴾، وذلك ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي﴾ منكم في الدعوة ﴿إِلَى﴾ دين ﴿اللَّهِ﴾؟ ﴿قَالَ﴾ له

﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾ وهم أول من آمن به، وصاروا أصفياءه ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ﴾ دين ﴿اللَّهِ﴾ معك.

ولمَّا بَلَغَ عيسى دعوته لقومه، وناصره في ذلك الحواريون: ﴿فَأَمَنَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ اهتدت طائفة من بني إسرائيل، وآمنت بالله، واتبعته، وكفرت طائفة منهم، وعاندته، ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالكرامات الكثيرة ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ فيقول عنهم المولى تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ لذلك ﴿ظَاهِرِينَ﴾ على غيرهم من بني إسرائيل، في أنهم على الحق، واستجاب لهم خلق كثير في كل مكان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الجمعة

وهي سورة مدنية، تبدأ بقوله تعالى:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْقُدُّوسُ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ﴾ (١)

أي: يسبح لله الملك القدوس، المنزه عن النقائص، المتصف بصفات الكمال كل ما في السماوات وما في الأرض من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها.

هذا الإله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢)

﴿هُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ وهم العرب الذين لم ينزل إليهم كتاب سماوي سابق ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يعرفونه، ويعرفون نسبه وأمانته، وذلك: لـ ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ سبحانه، وهي القرآن، وليعرفوا ربهم فيؤمنوا به، ويخضعوا له ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك، وسيء الأخلاق؛ ليحملوا أشرف رسالة إلى الدنيا كلها، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: ما في الكتاب مما يصلح شأنهم، ويعلي قدرهم، والحكمة في تعاملاتهم؛ ليقودوا الدنيا وأهلها إلى كل خير وفضيلة، ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ هذه الرسالة، ومجيء محمد ﷺ إليهم ﴿لَفِي ضَلَالٍ﴾ كفر وجهل ﴿مُبِينٍ﴾ أي: واضح.

يقول الحق سبحانه:

﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣)

أي: ﴿و﴾ قد بعثه الله أيضًا إلى ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي: لم يأتوا بعد، وهم كل من جاء بعد جيل الصحابة إلى يوم القيامة، ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في كل ما يقضي به ويقدره.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٤)

يعني ﴿ذَلِكَ﴾ العطاء لمحمد ﷺ، والإنعام بنبوته لعموم الدنيا كلها إلى يوم القيامة ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ ربنا ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ وقد أعطاه عز وجل لمحمد ﷺ، ﴿وَاللَّهُ﴾ سبحانه ﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أي: ذو الفضل الواسع على جميع خلقه في الدنيا والآخرة.

ثم يحث ربنا عباده على وجوب حسن اتباع هذا القرآن، وضرورة الامتثال لهذا النبي الكريم، وذلك بذكر تقصير من قبلهم، في حق كتابهم ونبیهم، والخط بسبب هذا التقصير من شأنهم، حيث يقول المولى عز وجل:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَايَةِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥)

يقول تعالى وهو يذم اليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، ولكنهم لم يعملوا بها، بل فرطوا فيها، وحرفوها وبدلوها، مثلهم في ذلك، كمثل ﴿الْحِمَارِ﴾ الذي يحمل أسفارًا، أي: كُتُبًا وهو لا يدري ما فيها.

حقًا، ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَايَةِ اللَّهِ﴾ فحملوها ولم يعملوا بها، مثلاً، وقد ظلموا بذلك ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ وفي هذا لفت نظر لهذه الأمة ألا تكون مثل اليهود: تحمل القرآن، ولا تعمل به.

ثم يأمر الله محمداً ﷺ أن يخاطب هؤلاء اليهود قائلاً:

﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيََاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦)

لَمَّا قَالَ الْيَهُودُ: ﴿نَحْنُ أَنْبَتُوا اللَّهَ وَاجْتَبَوْهُ﴾ [المائدة: ١٨] وادَّعُوا أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهُمْ خَاصَّةً، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى لِحَبِيبِهِ: ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ؛ كُشْفًا لَكُذِبِهِمْ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ هَادُوا وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ وَأَحْبَاؤُهُ ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ جَمِيعًا، ﴿فَتَمْنُوا الْمَوْتَ﴾ أَي: تَمْنُوا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُمِيتَكُمْ سَرِيعًا، وَيَنْقُلَكُمْ إِلَى دَارِ كِرَامَتِهِ وَنَعِيمِهِ، وَذَلِكَ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَحْبَاؤُهُ!

ولو قلت لهم ذلك، فلن يفعلوا:

﴿وَلَا يَمْنُونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٧)
حَقًّا: إِنَّهُ لَمْ يَحْدِثْ، وَلَنْ يَحْدِثْ أَبَدًا، إِذَنْ فَهُمْ ظَالِمُونَ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾
يعاقبهم عَلَى ظَلَمِهِمْ.

ثُمَّ أَنَبَهُمْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى فِرَارِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ، وَعَدَمِ اسْتِعْدَادِهِمْ بِالْإِيمَانِ لَهُ، وَخَوْفِهِمْ مِنْهُ:

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٨)
﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: لَا مَهْرَبَ لَكُمْ مِنَ الْمَوْتِ، الَّذِي تُرَدُّونَ بَعْدَهُ وَتَعُودُونَ إِلَى اللَّهِ، فَيَجَازِيكُمْ عَلَى مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

وبعد ضرب هذا المثل - الذي يُخْرِجُ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ مِنْ غَفْلَتِهَا، وَيَوْقِظُهَا مِنْ سَبَاتِهَا - يَعودُ الْخُطَابُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ، فيقول المولى سبحانه:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩)

يعني ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ﴾ بِالْأَذَانِ ﴿لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ لِعِبَادَتِهِ سُبْحَانَهُ ﴿فَاسْعَوْا﴾ أَي: فَامْضُوا وَاهْبُوا ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ مِنْ خُطْبَةٍ وَصَلَاةٍ ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ وَكُلَّ شَوَاغِلِ الدُّنْيَا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، ﴿ذَلِكُمْ﴾ السَّعْيُ إِلَىٰ ذِكْرِ

الله ﴿حَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البيع والشراء، والانشغال بأمور الدنيا كلها، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فاستحيبوا.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠﴾

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ وتم بحمد الله أداؤها ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ إذا أردتم، وتفرقوا في الأرض دون حرج ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ما تحبون ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ رزقاً، أو علماً، أو راحة، أو أي شيء آخر، ﴿و﴾ لا تغفلوا عن طاعة الله في أي من هذه الأغراض، بل ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ذكراً ﴿كَثِيرًا﴾ في كل أحوالكم، واشكروه على إنعامه الدائم المتواصل عليكم، ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ في دنياكم وأخراكم.

ذات مرة والنبى ﷺ يخطب على المنبر: وصلت قافلة التجارة، وفرح الناس بوصولها، ولم يتمالك بعض المسلمين نفسه من شدة لهفه على تجارته فيها، فقام وخرج من المسجد، وذهب لأمواله فيها، فعاتب الله المسلمين على ذلك بقوله عز وجل:

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ﴿١١﴾

أي: ﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ﴾ ومن أرباح الدنيا، ﴿وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ خاصة ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ لمن توكل عليه، وطلب الرزق دون إخلال بضوابطه الشرعية.

فلم يُعَدِّ المسلمون بعدها إلى هذا التصرف، والآية كما هو واضح، فيها التحذير لكل مَنْ يُفْضِلُ لَهْوًا أو تجارة، أو عملاً، على الاستماع للخطبة وصلاة الجمعة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المنافقون

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾

هذه هي الآية الأولى من سورة المنافقون المدنية.

وهي تكشف للنبي ﷺ ما في قلوب فريق من الناس كانوا يُظهرون له الود، وما في قلوبهم غير ذلك، يقول سبحانه:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ يا محمد ﴿قَالُوا﴾ لك بالسنتهم فقط: نحن ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ دون أن تُقرَّ قلوبهم بذلك ﴿وَاللَّهُ﴾ حقيقة ﴿يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ كما تدل عليه قلوبهم ﴿و﴾ لكن في الوقت ذاته ﴿اللَّهُ﴾ عز وجل ﴿يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما يقولون بالسنتهم. وهؤلاء:

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٣)

أي: جعلوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ التي أقسموا بها كذباً أنهم مسلمون ﴿جُنَّةً﴾ وقاية لهم من القتل، أو الأسر، أو المقاطعة معهم، ﴿فَصَدُّوا﴾ بتظاهرهم بالإسلام - وهم يكيدون له - الكثيرين ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لاغترارهم بهم، وانخداعهم بأفكارهم، ﴿إِنَّهُمْ﴾ بهذا الخداع ﴿سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

﴿ذَلِكَ﴾ السوء لعملهم؛ بسبب ﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ ظاهراً عن طريق النطق

بالشهادتين بألسنتهم ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بقلوبهم، ﴿فَطُغِيَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ وختم عليها جزاء نفاقهم، ﴿فَهُمْ﴾ حقًا ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ يتدبرون، فيعرفون سوء فعلهم فيتوبون. والعجيب أنه:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُمْسِكٌ﴾ يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قتلهم الله أنى يؤفكون ﴿١﴾
﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ يا رسول الله، ويا كل مؤمن ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ منظرًا، وصحة، ﴿و﴾ أيضًا ﴿إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ من شدة فصاحتهم، وقوة بيانهم، ومع ذلك: فهم في غاية الضعف والخوف منكم، ﴿كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُمْسِكٌ﴾ إلى الحوائط، لا سند لهم من عقيدة قوية، أو فهم سليم، كما أنهم من الخوف الداخلي عندهم ﴿يَحْسُبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ بصوت عال ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لأنهم الهدف المقصود، والعدو المرصود، على أية حال: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ الحقيقي لك ﴿فَاحْذَرَهُمْ﴾ ولا تغتر بخداعهم، ﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكهم ولعنهم ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الهدى إلى الضلال بعد قيام البرهان.

والأعجب من ذلك أنه:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأْ رُءُوسُهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾

لَمَّا نزل قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] وافتضح أمرهم: أتاهم بعض أقاربهم من المؤمنين، وقالوا لهم: تعالوا إلى رسول الله ﷺ، وتوبوا إليه من النفاق، واسألوه أن يستغفر لكم ربه: أعرضوا ورفضوا، فترلت هذه الآية.

يعني ﴿لَوَّأْ رُءُوسُهُمْ﴾ إعراضًا، وامتناعًا وغرورًا ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يرفضون ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ وهم متكبرون عن استغفار النبي ﷺ لهم.

ولمَّا طلب من النبي ﷺ بعض أقارب هؤلاء المنافقين أن يطلب من الله المغفرة لهم، ومال إلى ذلك ﷺ قال له ربه:

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٦﴾

أي: هم ليسوا بأهل للاستغفار؛ لأنهم لا يؤمنون، ولذلك ﴿لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ماداموا على النفاق.

حيث ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته، وهؤلاء هم الفاسقون الحقيقيون. وهؤلاء أليسوا!!

﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٧﴾

نعم، ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم من الأنصار ﴿لَا تُنْفِقُوا﴾ من أموالكم ﴿عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ من المهاجرين ﴿حَتَّى﴾ يجوعوا، و ﴿يَنْفَضُوا﴾ عنه ويتفرقوا، وهي خطتهم مع الدعاة إلى الله تعالى إلى يوم القيامة، ﴿و﴾ قد فاتهم أنه ﴿لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً، يعطي مَنْ يشاء ويمنع مَنْ يشاء، ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك؛ لعدم إيمانهم.

أليسوا هم الذين:

﴿يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾

نعم، هم الذين ﴿يَقُولُونَ﴾ عند عودتهم من إحدى الغزوات ﴿لِنِ رَجَعْنَا﴾ أي: عدنا ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ من هذا السفر ﴿لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا﴾ قائل هذا الكلام هو عبد الله بن أبي، وهو يقصد بالأعز: نفسه، و ﴿الْأَذَلُّ﴾ يقصد - لعنه الله بذلك - رسول الله ﷺ، وقد قال ذلك: من شدة الحقد على رسول الله والبغض له، حقاً ليس هو الأعز، وليست العزة له؛ بل ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: الله جل وعلا القوة والغلبة، ولمن أعزه وأيده من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم، ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فيقولون ما يحلو لهم.

وبعد فضح المولى للمنافقين، وتعرية صورتهم على هذا النحو: يدعو الله عز وجل المؤمنين إلى البعد عن أخلاقهم، والتحلي بأخلاق الإسلام، إذ يقول المولى عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾

يأمر الله تعالى المؤمنين بعدم الانشغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله، من قراءة للقرآن، وصلاة، واستغفار، ويخبرهم أن مَنْ شغل بذلك عن ذكر الله: فقد صار من الخاسرين.

ثم يأمرهم بالإنفاق مما رزقهم الله: وذلك: من قبل أن يأتي الموت، فيندم البخيل، ويقول: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ ولو زمناً قليلاً، فأعود ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ بمالي في سبيل الله ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بعد هذا التفريط الذي كان مني في الطاعات.

يقول تعالى مخبراً عباده الذين قد ينشغلون عن ذكر الله:

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

يعني سارعوا إلى مرضاة الله، واستعدوا للقاءه قبل أن تحين آجالكم، وتطلبون الإمهال والتأخير؛ لإصلاح ما فات، فإنه ﴿لَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا﴾ عن مواعدها ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ المكتوب في اللوح المحفوظ، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه بمثله.
